

موسم الذكريات

بيروت ، من جمال عباس :

وفاته ، فعكف طوال السنين على نشر مؤلفاته ورسائله واقام متحفا له في قريته الفريكة يجمع كتبه واوراقه ورسومه والعديد من آثاره وخلفاته الشخصية ، اصبح محجة يؤمها دارسو تاريخ الثقافة اللبنانية في النصف الاول من هذا القرن والباحثون في اعمال هذا المؤلف الذي عرف باسم « فيلسوف الفريكة » ، من « ملوك العرب » الى « تاريخ نجد الحديث » ومن « قلب لبنان » الى « قلب العراق » ومن « فيصل الاول » الى « المغرب الأقصى » ومن « الريحانيات » الى « انتم الشعراء » الى « المكاري والكاهن » الى ترجمة « لزوميات » العربي للانكليزية الى « كتاب خالد » بالانكليزية وسواها .

فاقام المجلس الثقافي للمتن الشامي مهرجانا ضخما احتفاء بذكره ، دام اسبوعا كاملا ، دعا اليه وفودا من الاقطار العربية المختلفة ومن كثير من الاقطار الاجنبية ايضا ، ورتب سلسلة من المحاضرات العامة والندوات الخاصة عنه ، وازاح الستار عن تمثال له في الجامعة اللبنانية ، وسمى الى استصدار طابع يرد تذكاري له (واخفق في مسعاه ذلك) . فعمل على قيام تظاهرة ادبية فكرية كبرى ، متعددة اللغات والاتجاهات ، تتناول بالبحث والنقاش اعمال وآثار هذا المفكر الشاعر الرحالة من جميع جوانبها وفي سائر مضامينها .

ان بادرة المجلس هذه بادرة حرية بالثناء والتقدير ، لا مراة في ذلك . لكن اكان ضروريا ان تتخذ الدعوات والكلمات هذا الشكل « الرسمي » والجفرافي الذي اتخذته ؟ اكان ضروريا ان يأتي ممثلون عن الاقطار المختلفة التي وفدوا منها ، وكأنهم وافدون الى منظمة سياسية لا غنى عن ان تتمثل فيها كل دولة مهما كبرت او صغرت ومهما كان موفدوها يعرفون او لا يعرفون عن موضوع البحث ويزيدون

بعودة تشرب عادت الحياة الثقافية الى بيروت ، وكان الدفء الذي ولّى من الجو خيم على نشاطات الفكر والادب وبعث في عروقها الدماء بعد الصقيع الذي اعترأها خلال اشهر الصيف الطويلة .

فافتتحت الجامعات والمدارس موسمها الجديد ، وعمرت رفوف المكتبات بالكتب الجديدة ولم تعد محتوياتها مقتصرة على الكتب الدراسية الرتيبة ، واقام مهرجان السينما الدولي ، وعقدت الطاولة المستديرة السنوية للسينما ، وراح فنانون يعرضون ما عكفوا في الاشهر الاخيرة على انتاجه ، وجاءنا معرض كبير شامل للفن العراقي المعاصر بعد ان دار على كثير من العواصم الاوربية وكان مفتحا لعيون فنانينا وجعلنا نأمل اكثر فاكثر في ان تزداد هذه الزيارات الثقافية وتتمنى الا يطول الوقت قبل قيام تبادلات فنية بيننا وبين سائر الاقطار العربية فنعرض عليها ما عندنا ولا نعرفه وتعرض علينا ما عندها ولا نعرفه ، واحيت جمعية اصدقاء الكتاب مهرجانها السنوي ، فوزعت فيه الجوائز واقامت لاسبوع معرض الكتب الجديدة ، واقامت مسابقات ملكات الجمال وعلى رأسها ملكة جمال لبنان ، وقامت في « ملحق النهار » ومن ثم في بعض المجلات والصحف الاخرى حملة طويلة قوية طريفة تنادي باصلاح الاوضاع وتدعو بمعنى من المعاني الى استلام الادياب والفنانين للحكم ، ونشطت ذاكرتنا نشاطا ملحوظا - فكان الموسم في الشهرين الاخيرين موسم الذكريات .

تذكرنا ان ربيع قرن قد انقضى على وفاة امين الريحاني . والريحاني مع جبران خليل جبران وميخائيل نعيمة اهم الوجوه في التاريخ الثقافي الحديث في لبنان ، وقد قيض الله له اخا وفيه له امينا لذكراه عقد النية على نقل رسالته للقراء بعد

تفسير مختلفة. وكما كان من المفارقات ان نستمع الى المستشرق الايطالي ريزيتانو يقف بيننا ويخاطب امين الريحاني (الذي اسماه «فقيه العروبة») قائلاً: «يا لها من ساعة سعيدة لحضوري في موطنك ولشاركتي في الاحتفال بذكراك اليوم، بذكرى رجل نعتبه نحن المستشرقين - كما يعتبره المهتمون بالتاريخ المعاصر للشرق الادنى - برهانا من براهين القومية العربية وداعيا من دعاة الوحدة العربية وممثلاً من المع مثلي العروبة» - اقول، كم كان من المفارقات ان نستمع الى المستشرق الايطالي يقول هذا، ثم بعد هذا ان نشهد بعض مفكرينا وادبائنا يتصدون للمتحدث ويروجون محاولون التقليل من اهمية هذا الورق الرئيسي في تفكير الريحاني وآرائه السياسية، والتخفيف مما استطاعوا من عروبة وعربية القائل: «انا عربي شرقي ثوري. عربي اللسان، شرقي الروح، ثوري المبدأ. انا عربي، جنسي على لساني وفي وجهي وطي اضلعي. انا عربي رمل البادية عزيز عندي كدم ابنائنا، وسيئات العرب اجمل في نظري من حسنات عبيد التمدن. انا عربي ماضي بلادي في فؤادي، ومستقبلها نور من انوار ايماني، وان قيل: حلم هو، فنعم الحلم احلمه صباح مساء، عند اشراق الشمس وغروبها».

واذا كنا قد تذكرنا ان ربع قرن قد انقضى منذ وفاة احد رجالتنا الكبار، فقد تذكرنا ايضا ان ربع قرن قد انقضى منذ مولد احد منابرنا الكبرى، واقتصد بهذا المنبر مجلة «الاديب». فلا يصدر هذا العدد من «حوار» الا ويظهر عدد «الاديب» الجديد في حلتها التي عرفناها خمسة وعشرين عاما بطولها لم تتغير مرة عن نمطها الكلاسيكي البسيط الراق، يحمل في اعلاه تاريخه: «الجزء ١، السنة ٢٥».

والحق اننا اذا ذكرنا كم من المجلات الادبية عندنا تنشأ وتنمو وتشب وتذبل وتذوي، كل هذا في غضون سنوات قليلة معدودة (واحيانا في غضون ما هو اقصر من ذلك)، ادر كنا المغزى الخطير والفضيلة الجلية في تمكن صاحب «الاديب» ورئيس تحريرها، الاستاذ البير اديب، من الاحتفاظ بمجلته هذا الزمن المديد. واذا ذكرنا ان المجلة الادبية لم

او لا يزيدون في معلوماتنا عنه؟ ولماذا لم تعن لجنة التكريم، وهي التي اثبتت اهليتها في التنظيم والادارة على الرغم من حداثة سنه، بان يكون الممثلون القادمون من البلدان الاخرى دارسين فعلا لفكر المحقق به وادبه (ولا شك ان بين جامعي وكتاب كل بلد نفرا ممن يمكن اطلاق هذا اللقب عليهم) بدلا من ان تكتفي بان يمثل كل بلد، وما هم بن يمثل؟ لقد استمعنا الى الخطب المتعددة، واستطعنا بكل وضوح وسهولة ان نكتشف، الى جانب من كان يعرف ما يقول، من كان يطلق تعميمات لا تفيد في كثير او قليل. وكنا ننتظر ايضا من لجنة التكريم، وهي التي لم تكن فكرة احياء ذكرى الريحاني فكرة جديدة عليها لمعت في ذهنها فعملت على تطبيقها في الحال وبدون تخطيط وتصميم، الا تنتظر حتى اللحظة الاخيرة لتدعو العلماء الاجانب الذين اعتادوا ان يتوقعوا دعوات سابقة للموعد بزمان طويل ليتفرغوا للبحث في موضوع اقترح عليهم اقتراحا، والا ترجل في دعوتها لبعض رجال الفكر عندنا ليتحدثوا حديثا عميقا مطولا عن هذه الناحية او تلك في الريحاني، فلا تطلب اليهم الحديث هذا الا واسبوع المهرجان قد ابتدأ والضيوف قد حلوا بيننا. ليس تكريما للريحاني، او لغير الريحاني، ان نجتمع له الوفود من كل قطر، يجلسون على منصة سامقة تحت الاعلام المرفرفة، ونزهقهم بالمآدب السخية والحفلات المتتالية اياما عديدة متلاحقة؛ انما تكريم الريحاني، او غير الريحاني، ان تتمكن خلال مهرجانه من توفير عدد من النقاد، ما هم كثروا ام قلوا ومن اي قطر او اقطار جاؤوا، يكونون قد درسوه فعلا ووصلوا في دراساتهم له الى نتائج ذات قيمة واهمية وابتكار، وان يعيشوا في نشنا الجديد رغبة حقيقية في الاطلاع على نتاجه والبحث فيه وتقييمه، وان يقنعوه بان الريحاني، بعد خمس وعشرين سنة من وفاته، ما يزال جديرا بهذا كله.

وكان طريفا ان نرى النقاش يتحدث، في اكثر من مناسبة، حول مواقف الريحاني السياسية، وبصورة خاصة حول عروبه ودعوته اليها والى الوحدة العربية. كان طريفا ان نرى اطرافا مختلفة تفتش في كتاباته عن آراء مختلفة يمكن تفسيرها

يعد ممكننا لها، في زماننا هذا، ان تعيش وتستمر اذا لم يقيض لها سند مالي منتظم، كمؤسسة ثقافية تندها بالعون خدمة للثقافة، او كدار نشر كبرى، او كحكومة تصدرها هي او تغذيها بالاعلانات الثمينة او ببديل اشتركت كثيرة العدد - وان «الاديب» لم تحظ بمساعدة هذه او تلك او هاتيك، بل ظلت على الدوام مجهودا فرديا، ادركنا مدى التضحية التي ضحاهها البير اديب، بصمت وصبر، هذي السنين الطوال، ليحفظ بمجلته كما هي، وليخرجها عددا بعد عدد، لا تتوقف مرة عن الصدور ولا تتأخر فيه ولا يقل عدد صفحاتها او يتدنى مستواها الطباعي. اما ان هذا لم يكن بالامر الهين عليه وانه تقاضاه الكثير، من صحته ومن راحته ومن ماله، فمعروف ومدعاة للتقدير الابلغ.

تذكر ليفيف من ادبائنا هذا، وتذكروا ان «الاديب» مجلة متمدنة (بل ان المأخذ عليها انها متمدنة مسألة اكثر مما ينبغي) ترفع عن كل حوار اقليمي وكل نقد جارج وكل تزمّت بغيض، وان العالم العربي، بسائر اقطاره، لم يفلق ابوابه دونها يوما؛ تذكروا ذاك الذي يجلس وراء مكتبته (الذي هو منزله ايضا) ليقوم بجميع مهام المجلة، فهو رئيس تحرير ومدير ومنقح ومصحح ومشرف على الاشتراكات والمبيعات والاعلانات، الى ما هنالك من الاعمال الكبيرة والصغيرة - كل ذلك طوال اعوام عديدة امتنع خلالها عن تلبية اية دعوة لحضور مهرجان او مؤتمر ادبي، فهمة الوحيد ان تصدر مجلته، كما يريد، في حينها وتصل الى كل مشترك والى كل جامعة، حيث تعد «الاديب» مرجعا ادبيا وتاريخيا امينا لاهم الاحداث الثقافية ومنبرا لاعلام الادب والفكر وتعريفا بانتاجهم؛ تذكروا ان كثيرا من المصالح الاسماء عندنا وعند سوانا من الاقطار العربية لم تعرف الا بعد ان احتضنتها «الاديب» وطورتها - ففسارعوها للكتابة عنه وعن مجلته، واخذوا يعدون العدة لاحتفال كبير يقيمونه في مطلع العام له ولها.

وقد امل بعضنا، خلال الاشهر الماضية، ان تفاجئنا جمعية اصدقاء الكتاب، التي تعلن عن جوائزها في اواخر تشرين الثاني (نوفمبر) من كل

عام، بان تعلن عن فوز البير اديب بالجائزة الكبرى، جائزة رئيس الجمهورية. كنا نعرف ان املنا هذا سيطل على الغالب مجرد امل، لان المقصود في هذه الجائزة ان تكون تنويحا لنتاج حياة حفلت بالمولفات، والبير اديب ذو اثر واحد هو مجموعته الشعرية «لمن». لكننا ايضا كنا نرجو ان يحور في شروط الجائزة هذا العام، فيصبح بالامكان منحها لمن لم يكتب كثيرا وانما استكتب كثيرين، ولن لم يخلق كثيرا انما لولاه لقلت جدا خلائق الادب في السنوات الفاتئة الخمس والعشرين. ليس من بين العاملين في حقل الادب من هو مظلوم ومن يغمط حقه في العادة اكثر من الناقد («هل رأيت قط في اية ساحة تمثالا لاي ناقد؟») - اللهم الا المحرر. رغم هذا (او لعله لاجل هذا) كنا نؤمل، خلال الاشهر الماضية، ان يفوز محرر «الاديب» بالجائزة الكبرى.

غير ان الجائزة، حين منحت، منحت لمن هو اهل بها بحق. فنالها الاستاذ امين نخلة، ونال الجائزة الكبرى الاخرى (جائزة لبنان في العالم) الاستاذ شفيق معلوف، فكان في ذهاب الجائزين الرئيسيتين الى شاعرين، والى شاعرين في مستوى واهمية امين نخلة وشفيق معلوف، تعويض عما كنا نؤمله، وتعويض ايضا عن حرمان الادب، ما عدا النقد، هذه السنة من الجوائز التشجيعية المختلفة التي اعلنتها جمعية اصدقاء الكتاب.

وتذكرنا، ايضا، ان لبنان ما زال من غير مسرح. امر لم يكن ليصدق احد خارج لبنان، وكان يجب الا يرضى به احد داخله. لقد لعب اللبنايون دورا مهما في تاريخ المسرح العربي وفي نشأته في مصر، لكن المسرح في لبنان ظل شيئا ثانويا جدا، وظل المؤلف يشكو انعدام الفرق، والفرق تشكو انعدام المخرج، والمخرج يشكو انعدام قاعة المسرح، والمسرح يشكو انعدام الجمهور والمؤلف. في السنوات الاخيرة بدأت بوادر وثبة جديدة في الظهور، وقامت عدة فرق حاولت، رغم كونها مؤلفة من الهواة وغير المتخصصين ورغم العقبات المادية التي اعترضت المخرجين فيها، ان تكسر هذه الحلقة المفرغة، ان تنبه الجمهور الى

موسم الذكريات . لكن تذكر الماضي وحده لا يكفي ، ولا بد لنا ان نفتش في حاضرتنا عما نلتقطه منه ونحتفظ به تذكارا للمستقبل . من كل ما سمعته ومن كل ما قرأته في الشهرين الاخيرين ، من على المنابر او الاذاعة او في الصحافة ، اعتقد انه ليس ثمة ما استحسب اوساطنا الادبية والفكرية والصحافية (خاصة في هذا الوقت) ان تبقيه في ذاكرتها اكثر من المقطع الآتي الذي تقوه به رئيس الوزراء في حفلة تذكارية في مدينة طرابلس - قال : « اذا كانت الجراءة اقوى سلاح المرء ، فهي محببة في الاقلام - لان الاقلام مشرعة لا قيمة لها مغمدة . واذا كانت الزلفى وذيلة فابشعها في الاقلام - لان الاقلام شرها مستطير » .

ضرورة قيام حركة مسرحية صحيحة ، وان تنبه المؤلفين الى هذا اللون من الادب الذي كانوا منصرفين عنه تمام الانصراف ؛ ونجحت في تحقيق هدفها كليهما . وفي الشهرين الاخيرين اكتملت الحلقة بانشاء مسرح في بيروت - او بالاحرى بانشاء مسرحين فيها في وقت معا . كان احدهما « مسرح بيروت » ، الذي لن يقتصر نشاطه على المسرح وحده ، بل سيتعداه الى تقديم الحفلات الموسيقية وعروض الباليه والمحاضرات الفنية وسيكون مفتوحا امام سائر الفرق من لبنان ومن خارج لبنان من البلدان العربية . وثانيها « المسرح الوطني الشعبي » الذي سيكون متخصصا بتقديم التمثيليات الفكاهية الكوميديا التي لن تخلو من عنصر التوجيه الاجتماعي .

موسم الجوائز

القاهرة ، من احمد رشدي حسين :

ان يمنح الروائي الجائزة على قصة اخرى لا سبيل الى اعتراض الجمع عليها ، - هي رواية « خان الحليلي » . وفاز محفوظ بالجائزة ، ولكن الجمع آلى على نفسه منذ ذلك الوقت (١٩٤٩) ان يكون حريصا على اموال الدولة فلا يغدق منها مائة جنيه على شباب صغار في سن نجيب محفوظ ولا على اعمال ادبية لا قيمة لها في نظر اعضاء الجمع ، كالقصص والروايات ، وامست جائزة الجمع شبه مقصورة على الشعر . اما جائزة قوت القلوب فلم ينلها من جيل نجيب محفوظ سوى محمد عبد الحليم عبد الله ، عن قصته « لقيطة » .

ومنذ ان قامت ثورة تموز (يوليو) والدولة تكرم الادب رسميا في الجوائز والاورسمة التي تهدىها للادباء . فقامت بانشاء « جائزة الدولة في الادب » التي نالها طه حسين والعقاد و توفيق الحكيم ونجيب محفوظ و محمد كامل حسين حتى عام ١٩٥٦ ، ثم قامت بانشاء المجلس الاعلى للفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ، ففكرت عنه جائزتان : احدهما « جائزة الدولة التقديرية » تمنح تنويحا للحياة الادبية او الحياة العلمية ، لا على عمل ادبي او علمي

جوائز الدولة في القاهرة لها تاريخ طويل لا بد من التعرض له قبل اي تقييم للآثار الجديدة التي نالت الجائزة هذا العام . فلعل الجائزة الرسمية الوحيدة فيما قبل الثورة كانت جائزة الجمع اللغوي ، التي ما تزال قائمة الى الآن . الا انه كانت هناك في مجتمع ما قبل ١٩٥٢ بعض الجوائز التي تهدىها كبار الشخصيات الاجتماعية للادباء ، ولم يكن وزنها المادي او الادبي يقل عن وزن جائزة الجمع . والمثال السريع على ذلك « جائزة قوت القلوب الدمرداشية » . ولكن جوائز الجمع وجوائز الارستقراطية المصرية ، لم تكن تخضع في كثير من الاحيان للاسلوب الديمقراطي في التحكيم الادبي ، الذي يجعل للقيمة الفنية الاهمية الاولى والمعياري الرئيسي . فعلى طول تاريخ جائزة الجمع لم ينلها اديب ذو قيمة ادبية رفيعة ، باستثناء نجيب محفوظ الذي احدثت روايته « السراب » التي تقدم بها انشقاقا في لجنة التحكيم آنذاك . فقد رأها البعض مجرد قصة « اباحية » ، ورأها البعض الاخر قصة تستحق الجائزة . وكان العقاد على رأس المؤيدين لفوز نجيب محفوظ بالجائزة . لذلك اقترح حلا وسطا هو